تزوّجتكِ أيتها الحرّية

نزار قباني

الطبعة الثانية

كانون الثاني (يناير)

١٩٩٠

مدخل

لستُ أدري، ماذا يقول الشاعرْ ؟
و هو يمشي في غابةٍ من خناجرْ ..
أطلقوا نارهمْ على المتنبي .
و أراقوا دماءَ عامرْ .
لو كتبنا يوماً رسالة حبّ ..
شنقونا على بياض الدفاترْ
ما بوسع السّياف قطعُ لساني
فالمدى أزرقٌ .. وعندي أظافرْ ...

نزار

تزوجتك أيتها الحرية

١

كانَ لدي بلاط نساءٍ
فيه جميلات الدنيا ..
فالعربية ..
والرومية ..
والتركية ..
والكرديه ..
كان بقصري لعبٌ صُنعت في باريسَ
وجيشٌ من قطط شاميهْ ...

٢

كنت الرجلَ الأوحد في التاريخ ..
فلا أولادَ .. ولا أحفادَ .. ولا ذرّيه
كنت أمير العشق ..
كنتُ أسافرُ يوماً في الأحداقِ الخضرِ ..
ويوماً في الأحداقِ العسليهْ ..
كانَ هناكَ العطرُ الأسودُ .. والأمطارُ الأولى .
والأزهارُ الوحشيهْ ..
كانَ هناكَ عيونٌ
تسبح مثل طيور النورس في دورتي الدمويهْ

كان هناك شفاه مفترساتٌ كالأصداف البحريهْ .
كان هنالك سمك حيّ تحتَ الإبطِ ،
وثمة رائحةٌ بحريهْ ..
كان هناك نهودُ تقرع حولي ..
مثل طبول إفريقيهْ ...

٣

إني قديسُ الكلماتِ ..
وشيخُ الطرقِ الصوفيهْ ..
وأنا أغسلُ بالموسيقى وجه المدن الحجريهْ
وأنا الرائي .. والمستكشفُ ..
والمسكونُ بنار الشعرِ الأبديهْ .
كنتُ كموسى ..
أزرعُ فوق مياه البحر الأحمرِ ورداً
كنتُ مسيحاً قبل مجيء النصرانيهْ .
كل امرأة أمسك يدها ..
تُصبح زنبقةً مائيهْ ..

٤

كانَ هنالك .. ألف امرأةٍ في تاريخي .
إلا أني لم أتزوجْ بين نساء العالمِ
إلا الحريهْ ...

سُلالات

من سلالاتِ العصافيرِ .. أنا
لا سلالات الشجرْ
وشراييني امتداد لشرايين القمرْ
إنني أخزنُ كالأسماكِ في عينيَّ
ألوان الصواري ،
ومواقيت السفرْ .
أنا لا أشبهُ إلا صورتي

فلماذا شبهوني بعُمَرْ ؟

تَفرد

ما تتلمذتُ على شعر المعريّ ،
ولم أقرأ تعاليم سليمان الحكيمِ
إنني في الشعر لا آباء لي .
فلقد ألقيت آبائي جميعاً في الجحيمِ
من هو الشاعرُ ، يا سيدتي ؟
إن مشى فوق الصراطِ المستقينِ ؟..

كان الشاعرُ

كان الشاعرُ يأكلُ من أوراق الوردِ ،
وكانَ ينام بأحضانِ الصفصافْ
ثم أتي عصر عربيّ
صارَ الشاعرُ فيهِ ،
ينام بأحضان السيّافْ ...

لم أخطط

لم أخطط أبداً .. كي أدخلَ العشاق ،
فتاريخي النسائيّ ..
قضاءٌ وقدرْ .
كم تفاجأت بحب امرأةٍ
جعلتني وردةً ..
بعدما كنتُ حجرْ .

اللغة المستحيلة

الكاتب في وطني
يتكلمُ كل لغاتِ العالمِ ،
إلا العربيهْ .
فلدينا لغةٌ مرعبةٌ
قد سدّوا فيها كلّ ثقوبِ الحريهْ !!

إكتئاب

ليسَ في ذهني جوابٌ واضحٌ
لسؤالاتكِ ، يا سيدتي ..
كلّ ما أعرفهُ .
أنني أزدادُ حزناً
حينَ عيناكِ تزيدانِ اتساعاً وسوادا ..
أنا لا أكتبُ في الغربةِ شعراً
إنني أنكشُ جمراً ورمادا
ما الذي من لغةِ الشاعر يبقى ؟
عندما ستعمل اللونَ الرماديّ مدادا .
ما الذي من عنفوانِ الشعر يبقى .. عندما
يصبحُ الكرسيّ في المقهى .. بلادَا ؟

القصيدة .. والجغرافيا

في بلاد الغربِ ، يا سيدتي
يولدُ الشاعر حراً
مثلما الأسماكُ في عرْضِ البحارْ
ويغني ..
بين أحضان البحيراتِ ،
وأجراس المراعي ،
وحقول الجلنارْ .

*

... ولدينا
يولدُ الشاعرُ في كيس غبارْ
ويغني لملوكٍ من غبارٍ
وخيولٍ من غبارٍ
وسيوفٍ من غبارٍ .
إنها معجزةٌ ..
أن يصنعَ الشعرُ من الليل نهاءْ
إنها معجزةٌ ..
أن نزرعَ الأزهارَ ،
ما بينَ حصارٍ ، وحصارْ ..

*

نحن لا نكتبُ
- مثل الشاعر الغربي ، شعراً -
إنما نكتبُ يا سيدتي
صك انتحارْ ..

كُتّـابٌ بلا أصابعْ ..

شكراً .. لمن يقرؤنا
على امتداد هذه الخريطةِ الرمليهْ
شكراً .. لمن يقرؤنا
في الغرفِ السريهْ
فنحن كتابٌ بلا أصابعٍ
وأنبياءٌ دون أبجديهْ ...

كاتبان

الكاتب الكبيرْ
هو الذي تنخرُ في عظامهِ
جرثومةُ الشجاعهْ
والكاتبُ الصغيرْ
هو الذي يبلع قبل نومهِ
برشامةَ القناعهْ ..

أمّي

رحمة اللع على أمي ..
فقد كانت تحت الشامَ ، والماءَ ،
وزهرَ الياسمينْ .
ثمّ .. لما رحلتْ
بكتِ الشامُ عليها
واستقالتْ بعدها
أنهرُ الشامِ جميعاً
وشتولُ الياسمينْ ...

عنفوان

في المدن المالحةِ ،

الخائفةِ ،
المعقدهْ ..
يشعرُ أهل العشق بالعارِ .. وبالهوانِ ..
أما أنا .. فخين أهوى امرأةً ..
تأخذني هزة عنفوانِ !!

إلا الكلمهْ ..

ليسَ هنالكَ حلّ آخرُ ،
إلا الكلمهْ ..
ليسَ هنالك ثديٌ آخر قد أرضعني
إلا الكلمهْ ..
ليسَ هنالك وطنٌ آخرُ قد آواني
إلا الكلمهْ ..
ليسَ هنالكَ في تاريخي .. امرأةٌ أخرى
إلا الكلمهْ ...

الخَطّ الأحْمَر ..

خلالَ خمسينَ سنهْ
عرفتُ ألفَ امرأةٍ .. وامرأةٍ ..
وألفَ جسمٍ رائعٍ
وألفَ نهدٍ نافرِ ..
لكنني ..
لم أخلط النساء بالدفاتر
والحبرَ بالضفائرِ
ورنة القوافي
برنة الأقراطِ والأساورِ
فثمّ خطّ أحمرٌ رسمته
بين العشيقاتِ .. وبين الشاعرِ ...

تشبُّث

ليس في وسعكِ ، يا سيدتي ، أن تصلحيني ..
فلقد فاتَ القطارْ ..
إنني قررتُ أن أدخلَ في حربٍ مع القبح ،

ولا رجعة عم هذا القرارْ .
فإذا لم أستطعْ إيقاف جيش الرومِ ،
أو زحف التتارْ .
وإذا لم أستطع أن أقتل الوحشَ .. فحسبي
أنني أحدثتُ ثقباً في الجدارْ ...

بيان من الشعر

إذا كان عصريَ ليس جميلاً ..
فكيفَ تريدينني أن أجمّل عصري ؟
وإنْ كنتُ أجلسُ فوق الخرابِ ،
وأكتبُ فوق الخرابِ ،
وأعشقُ فوق الخرابِ ،
فكيفَ سأهديك باقة زهرِ ؟

*

وكيفَ أحبكِ ؟
حين تكونُ الكتابةُ رقصاً ..
على طبقٍ من نحاس وجمرِ ..
وإن كانت الأرضُ مسرحَ قهرٍ
فكيف تريدينني أن أصالحَ قهري ؟

*

يريدُ المماليك أن يملكوني ..
وأن يشربوا من دمائي وحبري
يريدون رأسَ القصيدة كي يستريحوا ..
وللشعر .. والحبِ .. فوضت أمري .
أحبكِ .. برقاً يضيءُ حياتي
وقنديل زيتٍ ، بداخل صدري
فكوني صديقة حريتي ..
وكوني ورائي بكل حروبي
وسيري معي ، تحت أقواسِ نصري ..

*

إذا كانَ شِعري لا يتصدّى
لمنْ يسلخون جلودَ الشعوبِ
فلا كانَ شعري ...

حزب المطر
أنا لا أسكن في أي مكان
إن عنواني هو اللا منتظر ...
مبحراً كالسمكِ الوحشي في هذا المدى
في دمي نارٌ .. وفي عيني شرر
ذاهباً أبحث عن حرية الريحِ،
التي يتقنها كل الغجر ..
راكضاً خلف غمام أخضر
شارباً بالعين آلاف الصور
ذاهباً .. حتى نهايات السفر ..

*

مبحراً .. نحو فضاءٍ آخر
نافضاً عني غباري
ناسياً اسمي ...
وأسماء النباتات ..
وتاريخ الشجرْ ..
هارباً من هذه الشمس التي تجلدني
بكرابيج الضجر ..
هارباً من مدنٍ نامت قرونا
تحت أقدام القمر ..
تاركاً خلفي عيوناً من زجاجٍ
وسماءً من حجرْ ..
ومضافاتِ تميمٍ ومضرْ ..

*

لا تقولي : عدْ إلى الشمس .. فإني
أنتمي الآن إلى حزبِ المطرْ ..

صمت

ليس مهماً أن أتكلم ..
إن الصمت جميل جداً ..
مثل ملايين الأحلامْ
إني رجل لا يحترفُ الرقصَ .. ولا التمثيلَ ..
وليس يتاجرُ بالأوهامْ .

فاحتمليني .. يا سيدتي
حين أكون حزيناً ، أو مكتئباً .. أو منطوياً
إنّ الشعرَ كلام ليس يشابهُ أيّ كلامْ ..

حلمٌ قوميّ

ما زلتُ برغم صراعِ الإخوةِ
أخترع الأحلامْ
وأقولُ بأن اللهَ ..
سيجمع يوماً ما بين الأرحامْ
جسدي يشتاقُ إلى بغداد
وقلبي عند نساءِ الشامْ ...

وجهكِ مثلُ مطلع القصيدة

وجهكِ .. مثل مطلع القصيدهْ
يسحبني ..
يسحبني ..
كأنني شراعْ
ليلاً ، على شواطئ الإيقاعْ .
يفتح لي ، أفقاً من العقيقْ
ولحظة الإبداعْ
وجهكِ .. وجهٌ مدهشٌ
ولوحةٌ مائيةٌ
ورحلةٌ من أبدعِ الرحلاتِ
بين الآسِ .. والنعناعِ ..

*

وجهكِ ..
هذا الدفتر المفتوحُ ، ما أجملهُ
حينَ أراهُ ساعةَ الصباحْ
يحملُ لي القهوةَ في بسمتهِ
وحمرةَ التفاحْ ...
وجهكِ .. يستدرجني
لآخر الشعرِ الذي أعرفهُ
وآخر الكلامْ ..

وآخر ِ الورد الدمشقي الذي أحبهُ
وآخر الحمامْ ...

*

وجهكِ يا سيدتي .
بحرٌ من الرموز ِ، والأسئلة الجديدهْ
فهل أعودُ سالماً ؟
والريحُ تستفزني
والموجُ يستفزني
والعشقُ يستفزني
ورحلتي بعيدهْ ..

*

وجهكِ يا سيدتي .
رسالةٌ رائعةٌ
قد كتبتْ ..
ولم تصلْ ، بعدُ ، إلى السماءْ ...

وطنٌ بالإيجارْ

١

كلّ نهار ٍ ،
أجلسُ عند صديقي الإيطاليّ (روبرتو)
كلّ نهارْ .
أحملُ تخطيطات الشعر ِ ،
آكلها بدلَ الإفطارْ ...
صارَ (روبرتو) يعرفُ وجهي
صارَ يقيسُ مساحةَ حزني بالأمتارْ ..

٢

كل نهار ٍ ،
أمشي فوقَ الورق ِ اليابس ِ ،
كل نهارْ .
أتحدثُ في لغةِ الأعشابِ ،
وأفهمُ إحساسَ الأشجارْ
كلّ نهار ٍ ،
أصنعُ أملاً من ألوان الطيفِ ،

وأصنع شعباً من أزهارْ ...
كلّ نهارٍ،
أنوي فيه ركوبَ البحر ..
تقولُ الشرطة: لا إبحارْ
كل نهار
أبني وطناً أسكنُ فيهِ
فتجرفه الأمطارْ ...

٣

كل نهارٍ،
ألبسُ ذاتَ المعطفِ ،
أقطعُ ذاتَ الشوارع ،
أشغلُ ذلتَ المقعدِ ،
أطلبُ ذاتَ القهوة ،
أشري صحفاً من بلدان الشرق الأوسطِ
لا حمس كي أفتحها
فالأخبارُ هي الأخبارْ
في القرن الأولِ .. أو في القرن العاشرِ..
الأخبار هي الأخبارْ ..

٤

كلّ نهارٍ،
أجلسُ عند صديقي الإيطالي (روبرتو)
كل نهارْ .
اطلبُ قدحاً من كونياك فرنسا
أبلعهُ سيفاً من نارْ
أكتبُ فوق الفوطة شعراً
تبكي منه فتاة البارْ ...

٥

كلّ نهارٍ،
تجلسُ فوق سريري امرأةٌ
تخطفها من الأقدارْ
كلّ امرأةٍ تحمل طفلاً مني
يضربها الإعصارْ
كلّ نهارٍ ،

أكتبُ للحرية شعراً
يمنعه حتى الأحرارْ ...

٦

يا سيدتي :
إن النملة تملك وطناً
إن الدودة تملك وطناً
إن الضفدع يملك وطناً
إن الفأرة تملك وطناً
إن الأرنب يملك وطناً
والسحلية ، والصرصارْ .
وأنا ما ملكني أحدٌ وطناً
ولذا ، أسكنُ يا سيدتي
وطناً بالإيجارْ ...

كتابات على جدران المنفى

١

يا سيدتي :
كيفَ أصورُ هذا العصرَ اللامعقولَ،
نسيتُ الوصفا
كنتُ أظن الكلمة بيتي
فإذا بهمُ .. سرقوا البابَ ..
وسرقوا السقفا ..
سرقوا الورقَ الأبيض منا ،
سرقوا الحرفا .
ماذا نأكل ؟
ماذا نشربُ ؟
كيفَ نعبرُ عن أنفسنا ؟.
إنا نأكل – يا سيدتي – قمعاً
إنا نشرب - يا سيدتي – خوفاً
أين سنذهبُ يا سيدتي ؟
إن عبورَ الشارعِ خطرٌ .
إن ركوب المصعد خطرٌ
والسيارة خطرٌ.

والدراجةٌ خطرٌ
والطيارة خطرٌ .
ليس هناكَ مكانٌ
يجلس فيه الكاتبُ ،
ليسَ هنالك مقهى ..
نصفُ الجملة في الجبانةِ ..
نصفُ الفكرة في المستشفى ...

٢

يا سيدتي :
ماذا يبقى من إنجيلِ الثورةِ ،
حين تقررُ قتل مغنيها ؟
ماذا يبقى من كلمات الثورةِ ،
حينَ ستمضغ أكبادَ بَنيها ؟
ماذا يبقى ؟
حينَ تخافُ الدولةُ من رائحةِ الوردِ ،
فتحرق كل مراعيها ..
ماذا يبقى من فلسفة الثورةِ ،
حين تخاف طلوعَ الشمسِ ،
وتنتفُ ريشَ كناريها ؟
ماذا يبقى ؟
ماذا يبقى ؟
ماذا يبقى ؟
حين تبول الثورة فوق كلامِ نبييها ...

٣

يا سيدتي :
أطلبُ عفوكِ ..
إنْ لم أكتبْ في عينيكِ قصيدة شعر
إن العازف نسي العزفا .
كيفَ أحبكِ ، يا سيدتي؟
إن مباحث أمن الدولةِ ،
تلقي القبضَ على الأحلامِ ..
وترسلُ أهلَ العشقِ إلى المنفى ..

٤

يا سيدتي .. يا سيدتي
كنتُ قديماً أقرأ جسمكِ
سطراً سطراً ..
حرفاً حرفاً ..
كنتُ قديماً أشعلُ في نهديك النارَ ..
وأزرع بينهما سيفا ..
أما اليومَ .. فأصبح شكل النهدِ ،
يشابهُ أسوارَ المنفى ..
يا سيدتي . يا لؤلؤتي . يا واحدتي .
كيفَ أمارسُ فعل الحبّ ..
طعمُ الجنسِ له طعم المنفى ؟؟

٥

يا سيدتي :
كيفَ أقاومُ هذا العطرَ المملوكيّ ،
وهذا الحقدَ النيرونيّ ،
وهذا القتلَ المجانيّ ،
وهذا العنفا ؟
كيفَ سأوقفُ هذا المدّ اللاقوميّ ،
وهذا الفكرَ التجزيئيّ ،
وهذا المطرَ الكبريتيّ ،
وهذا النزفا ؟
كيفَ نعبر عن مأزقنا ؟
كيف نعبر عما يكسرُ في داخلنا ؟
كيف سنتلو آي الذكر على جثتنا ؟
إن مباحث أمن الدولة تطلب منا
أن لا نضحكَ ..
أن لا نبكي ..
أن لا ننطق ..
أن لا نعشقَ ..
أن لا نلمس كف امرأةٍ ..
أن لا ننجب ولداً ..
أن لا نرسل أي خطابٍ

أن لا نقرأ أي كتابٍ
إلا عن أحوالِ الطقسِ ، وإلا عن أسرار الطبخِ
فتلك قوانين المنفى ...

٦

يا سيدتي :
ماذا أفعلُ لو جاءتني أمي في الأحلامْ ؟
ماذا أفعلُ لو ناداني فلّ دمشقَ ..
وعاتبني تفاح الشامْ ؟
ماذا أفعل لو عاودني طيف أبي ؟
فالتجأ القلبُ إلى عينيهِ الزرقاوينِ ..
كسرب حمامْ ..
يا سيدتي :
كيف أقولكِ شعراً ؟
كيفَ أقولكِ نثراً ؟
كيف أقولكِ ، يا سيدتي ، دونَ كلامْ ؟

٧

يا سيدتي :
كيف أبشرُ بالحرية ..
حينَ الشمسُ تواجه حكماً بالإعدامْ ؟
كيفَ سآكلُ من خبز الحكامِ ..
وأولادي من غير طعامْ ؟
يا سيدتي :
إني رجلٌ لم يتخرج من بارات السلطةِ ،
في أحد الأيامْ ...
أو أشغلتُ وظيفة قردٍ ..
بين قرودِ وزارات الإعلامْ !!
يا سيدتي :
إني رجلٌ لا أتوارى خلف حروفي
أو أتخبأ تحت عباءة أي إمامْ ..
يا سيدتي : لا تهتمي .
فأنا أعرفُ كيفَ أكونُ كبيراً
في عصر الأقزامْ ...

٨

يا سيدتي : لا تهتمي
سوفَ أظلّ أحبكِ ..
حتى أفتح نفقاً تحتَ البحر ِ..
وأثقب حيطانَ المنفى .
لا تهتمي ..
لا تهتمي ..
لا تهتمي ..
إن المنفى في غابات الكحل ِ الأسودِ
ليس بمنفى ...

لكيْ أقيمَ دولة الإنسانْ

لا تسأليني من أنا ؟
وما الذي أفعلهُ
كي أتحدى الموتَ والزمانْ
أنا الذي أسقطتُ ألفَ دولةٍ ودولةٍ
لكي أقيم دولة الإنسانْ ..

المشكلة

يا سائلي عن حاجتي
الحمد لله على الصحة والرغيفْ
وما تقولُ الصحفُ اليوميهْ ..
عندي صغارٌ يملأون البيتْ
وزوجةٌ وفيهْ .
وفي الخوابي حنطةٌ وزيتْ .
لكنما مشكلتي ..
ليستْ مع الخبز الذي نأكلهُ
ولا مع الماء الذي أشربهُ
مشكلتي الأولى هي الحريهْ ..

أطفال الحجارة

بهروا الدنيا ..
وما في يدهم إلا الحجاره ..

وأضاؤوا كالقناديلِ ، وجاؤوا كالبشارهْ .
قاوموا.. وانفجروا.. واستشهدوا ..
وبقينا دبباً قطبيةً
صُفِّحت أجسادُها ضدَّ الحراره ..

*

قاتَلوا عنّا إلى أن قُتلوا ..
وجلسنا في مقاهينا.. كبصَّاق المحارة
واحدٌ .. يبحثُ منّا عن تجارة ..
واحدٌ.. يطلبُ مليارا جديداً ..
وزواجاً رابعاً ..
ونهوداً صقلتهنَّ الحضارة ..
واحدٌ ..يبحثُ في لندنَ عن قصرٍ منيفٍ
واحدٌ.. يعملُ سمسارَ سلاح ..
واحدٌ.. يطلبُ في الباراتِ ثاره ..
واحدٌ.. بيحثُ عن عرشٍ وجيشٍ وإمارة ..

*

آهِ.. يا جيلَ الخياناتِ ..
ويا جيلَ العمولاتِ ..
ويا جيلَ النفاياتِ
ويا جيلَ الدعارة ..
سوفَ يجتاحُكَ –مهما أبطأ التاريخُ -
أطفالُ الحجارهْ ..

خبرٌ ثقافيٌّ

هذا بلاغ من بلاط صاحب الجلالة :
الأخضرُ اليدين .. والمكتمل الصفاتِ .. والمبجل الألقابْ ..
تحسساً من ملك الملوك
بحاجة الشعب إلى العدالهْ ..
والخبز .. والثيابْ ..
فقد رسمنا ما يلي :
يطلبُ من وزارة التجارهْ
أن تمنع استيراد أيما كتابْ
وتقنع التجارَ أن يستوردوا النخالهْ ...

من علمني حباً .. كنتُ له عبدا

١

من علمني
كيف أقشر كالتفاحة قلبي
حتى تأكل من نساء الأرض جميعاً
كنت له عبدا ...

٢

من علمني
كيف أؤسس وطناً
يشبه شكل القلبِ ،
وشكلَ الشريان التاجي ،
وشكل العصفور الدوري ،
وشكلَ التفاح الشامي ،
لكنت له ايضاً عبدا ...

٣

من علمني
كيف أحب امرأة حتى الهذيان
من علمني
كيفَ بوسع امرأة – دون سواها –
أن تتحرك مثلَ السمك الأحمر داخلَ شرياني
من علمني
كيف بوسع امرأة – دون سواها –
أن تخترع الشعرَ
وترسمَ شكلَ الأزمانِ ..
من علمني
كيف تصير امرأةٌ – دون سواها –
أقوى نوع من أنواع الإدمان
من علمني ما لا أعلم
كنت له عبدا ..

٤

من علمني
أول درس في أحوال الوجدْ
من علمني

كيفَ أواصلُ عشقي
منذ المهدِ .. وحتى اللحدِ ..
من علمني
أن أستخرج ذهباً من أودية النهدْ
من علمني أن حبيبي
نوع من أعشاب البحر ،
وفرعٌ من عائلة الوردْ
من سماني ملكاً في تاريخ العشقِ ،
فقد أعطاني كل المجدْ
من ثقفني ..
من شرفني بهوى امرأةٍ
كنت له دوماً عبدا ...

٥

من علمني
كيف أقول كلاماً يشبه رائحة الحنطه
أو يشبه لون الخبز الطالع من عند الفرانْ
من علمني
أن أتزوج هذا الشعبَ ،
وأرفض أي زواج بالسلطه
وعقود اللؤلؤ والمرجانْ ..
كيف أواجه بالأزهار ، وبالأشعار ،
هراوات الشرطه
من علمني
أن لا أعمل سائس خيل عند الوالي
أو جارية ترقص في حفلات (الباب العالي)
من علمني
أن لا أحني قامة شِعري
كنتُ له دوماً عبدا ..

٦

من علمني
كيف أغير .. كيف أدمرُ ..
كيف أكنس هذا القبحَ ،
وأزرع في الأرض الريحانْ

من علمني
كيف سأنقذُ هذا المركبَ ،
من أنواء البحر ،
وأسنان الجرذانْ
من أعطاني عود ثقابٍ
حتى أحرق كلّ أكاذيب التاريخ ،
لكنتُ له دوماً عبدا ..

٧

من علمني
أن أنقض على الأشياء
وأرفع رايات العصيانْ
من علمني
كيفَ أسافرُ ضد الموج .. وضد الريح .
وأشعلُ في البحر النيرانْ
من علمني
كيف تكون الكلمة سيفاً
في وجه السلطان
من أهداني سفرَ الثورةِ ،
كنتُ له دوماً عبدا ..

٨

من علمني
كيفَ أموتُ على أوراقي
حتى ينتصر الإنسانْ .
من علمني
كيف أكور قلبي مثل رغيف الخبز ،
لكي أطعمه للإنسانْ .
من علمني
كيف أزيل الكلفة بين كتاب الشعر ،
وأفواه الفقراءْ
من علمني
كيف أكون بسيطاً
مثل العشبِ ،
ومثل الماء ..

من علمني
أن أستعمل لغةً
فيها نزوات الأطفالِ ..
وفيها إحساس البسطاءْ ..
من علمني
أن الشعر ، رسالة حب نكتبها للناس ،
وليسَ هنالك شعر لا يتوجه للإنسانْ
من علمني هذي الحكمة في تعريف الشعر ..
لكنت له دوماً عبدا ...

القصيدة .. والغُولْ

١

في هذا الزمن اللامعقولْ
أصبحنا نجلسُ – حتى نكتبَ –
بين شفاه الغـُولْ .
ونغني .. بين عبوس العبد الأسودِ ..
والسيف المسلولْ ..
لا نعرف في أي اللحظاتِ
ستفصل عنا رقبتنا
وبأي لسانٍ سوفَ نقولْ ...

٢

في هذا الزمن المرعب .. صار الواحد منا
يخشى من أدوات الأمر ،
ويخشى من لاءات النهي ،
ويخشى الفاعلَ والمفعولْ
في هذا الزمن الأسود ..
أصبح قولُ الشعر مغامرة نحو المجهولْ
لا يعرف فيها ..
إسم القاتلِ .. من إسم المقتولْ ..

٣

في الزمن اليابس
حيث تموتُ عصافيرٌ .. وحقولْ
وتموتْ من الإحباط خيولْ

في زمن النصر الكاذب
حيثُ الحربُ زماميرٌ .. وطبولْ
في زمن الحملِ الكاذبِ ..
والإعلام الكاذب ..
والتمثيل على الشعب المقهورْ
في زمن الكذب على ذقن الجمهورْ ..
في زمنٍ
يرفض فيه الشاعرُ مسحَ الجوخ ..
وسكب العطر على جسد المسؤول
لا يبقى أي خيار عند الشاعر
إلا القبر .. أو السَيْلُولْ ..

٤

في هذا الزمن اللامعقول
لا بد لنا ..
لا بد لنا ..
لا بد لنا من قتل الغولْ ..

الجنرال يكتب مذكراته

١

قاتلت بالأسنانْ
كي أحملَ الماءَ إلى قبيلتي
أجعل الصحراء بستاناً من الألوانْ
وأجعل الكلام من بنفسجٍ
وضحكة المرأة من بنفسجٍ
ثديها .. قمة عنفوانْ ...

٢

قاتلت بالسيف وبالقصيدهْ
كي أحعل الحبّ إلى مدينتي .
وأغسلَ عن الوجوه والجدرانْ
وأجعلَ العصر أقل قسوة
أوجعل البحر أشد زرقة
وأجعل الناس ينامون
على شراشف الحنانْ ..

٣

قاتلت عصراً كاملاً
كي أشعاَ النيران في ذاكرتي
وفي ثياب من تبقى من بني عثمانْ .
وأوقفَ الذكور عن إرهابهم
وأنقذ النساء من أقبية السلطان
حفظت للكلمةِ كبرياءها
ولم أسافر مرةً واحدةً
لأمدح الأمينَ ..
أو لأمدح المأمونَ ..
أو لأمدح الخليفة النعمانْ ...

٤

قاتلت خمسين سنه
حتى أقيم دولة الحب التي أريدها
ودولة الإنسانْ .
لكنني اكتشفت أن ما كتبتهُ
ليس سوى حفرٍ على الصوانْ ..

٥

... وها أنا ، من بعد خمسين سنه
تأكلني الأحزان
لأن من حاولت أن أجعلهم آلهة ،
قد تركوني خلفهمْ ،
وفضلوا عبادة الشيطانْ ...

حوار مع امرأة غير ملتزمة

١

غيري الموضوع يا سيدتي .
ليسَ عندي الوقت والأعصابُ
كي أمضيَ في هذا الحوارْ ..
إنني في ورطةٍ كبرى مع الدنيا
وإحساس بعينيكِ كإحساس الجدارْ ...
قهوتي فيها غبارْ
لـُغتي فيعا غبارٌ

شهوتي للحُبِّ يكسوها الغبارْ ..
أنا آت من زمان الوجع القوميّ
أتٍ من زمانِ القبحْ ،
آت من زمانِ الإنكسارْ .
إنني أكتبُ مثلَ الطائرِ المذعورِ ،
ما بين انفجارٍ .. وإنفجارْ ..
هل تطنينَ بأنا وحدنا ؟
إن هذا الوطنَ المذبوح يا سيدتي
واقفٌ خلفَ الستارْ .
فاشرحي لي :
كيفَ أستنشقُ عطرَ امرأةٍ ؟
وأنا تحتَ الدمارْ
إشرحي لي :
كيفَ آتيكِ بوردٍ أحمر ؟
بعد أن ماتَ زمانُ الجلنارْ ..

٢

غيري الموضوع ، يا سيدتي .
غيري هذا الحديثَ اللا أبالي ..
فما يقتلني إلا الغباءْ .
سقطَ العالمُ من حولكِ أجزاءٌ ..
ومازلتِ تُعيدينَ مواويلكِ مثل الببغاءْ .
سقطَ التاريخُ . والإنسانُ . والعقلُ ..
ومازلتِ تظنينَ بأنّ الشمسَ
قد تشرقُ من ثوبٍ جميلٍ
أو حذاءْ ..

٣

أجِّلي الحلمَ لوقتٍ آخرٍ..
فأنا منكسرٌ في داخلي مثلَ الإناءْ .
أجلي الشعرَ لوقتٍ آخرٍ ..
ليسَ عندي من قماشِ الشعرِ
ما يكفي لإرضاء ملايين النساءْ ..
أجلي الحبّ ليومٍ أو ليومينِ..
لشهرٍ أو لشهرين ..

لعامٍ أو لعامينِ ..
فلنْ تنخسفَ الأرضُ ،
ولنْ تنهار أبراجُ السماءْ ..
هل من السهل احتضانُ امرأةٍ ؟
عندما الغرفةٌ تكتظ بأجساد الضحايا
وعيون الفقراءْ ؟

٤

إقبلي الصفحة يا سيدتي
علّمني أعثرُ في أوراق عينيكِ
على نص جديدْ .
إنّ مأساة حياتي ، ربما
هيَ أني دائماً أبحثُ عن نصٍ جديدْ ..

٥

آهِ .. يا سيدتي الكُسْلى
التي ليستْ لديها مُشكلهْ ..
يا التي ترتشفُ القهوةَ ..
من خلف السُتور المقفلهْ .
حاولي ..
أنْ تطرحي يوماً من الأيام بعضَ الأسئلهْ .
حاولي أن تعرفي الحزن الذي يذبحني حتى الوريدْ
حاولي .. أن تدخلي العصرَ معي
حاولي أن تصرخي ..
أن تغضبي ..
أن تكفري ..
حاولي .. أن تقلعي أعمدةَ الأرض معي .
حاولي أن تفعلي شيئاً
لكي نخرجَ من تحت الجليدْ ...

٦

غيري صوتكِ ..
أو عمركِ ..
أو إسمكِ .. يا سيدتي
لا تكوني امرأةً مخزونةً في الذاكرهْ
وادخلي سيفاً دمشقياً بلحم الخاصرهْ

غيري جلدكِ أحياناً
لكيْ يشتعلَ الوردُ ،
وكي يرتفع البحرُ ،
وكي يأتي النشيدْ ..

٧

أسكتي يا شهرزادْ .
أسكتي يا شهرزادْ .
أنتِ في وادٍ .. وأحزاني بوادْ
فالذي يبحثُ عن قصة حبّ ..
غير من يبحث عن موطنهِ تحت الرمادْ ..
أنتِ .. ما ضيعتِ ، يا سيدتي ، شيئاً كثيراً
وأنا ضيعتُ تاريخاً ..
وأهلاً ..
وبلاداً ....

أربع رسائل ساذجة إلى بيروت

الرسالة الأولى

يا أصدقاءَ الحزن في بيروتْ :
كيفَ هي الأحوالْ ؟
نسألكمْ . ونحن ندري جيداً
سذاجة السؤالْ .
نسألكمْ .
ونحن كالأيتامْ في جنازة الجمالْ .

الرسالة الثانية

يا أصدقاءَ الجُرح ، في بيروتْ
ألم تبيعوا قمراً .. لتشتروا زلزالْ ؟
ألم تبيعوا السُحُبَ الزرقاءْ ..
والقلوعَ ..
والرمالْ ..
ألم تبيعوا الكرزَ الأحمر في غاباتكمْ
والزعترَ البرّيَ ..
والوزّالْ ؟
ألم تبيعوا ؟

شجرَ التفاحِ .. والعصفورَ ..
والتنورَ .. والشلالْ ؟
لأم تبيعوا كُتُبَ الشعرِ التي لديكم
وضحكة الأطفال ؟
ألم تبيعوا وجعَ النايات في جرودكمْ
وزرقة الموالْ ؟
ألم تبيعوا جنةً
كيْ تسكنوا الأطلالْ ؟

الرسالة الثالثة

يا أصدقاء الشعر ، في بيروتْ
ألم تبيعوا آخر النجوم في سمائكمْ ؟
ألمْ تبيعوا ؟
آخرَ الحروف في أسمائكمْ
ألم تبيعوا ؟
ما تبقى من حُلَـى نسائكم
ألم تبيعوا البحرْ ؟
ألم تبيعوا للميليشياتِ التي تجلدكمْ
آخر خيطٍ من قميصِ الشعرْ ؟

الرسالة الرابعة

يا أصدقاء الصبرِ ، في بيروتْ
قولوا لنا :
في أيّ أرضٍ يوزعونَ الصبرْ ؟
قولوا لنا :
هل ممكنٌ أن تنهضَ الوردةُ من فراشها ؟
ويستفيق العطرْ .
هل ممكنٌ أن ترجع الحروفُ من غربتها ؟
وأن يفيضَ الحبرُ ..
هل ممكنٌ أن نستعيد عمرنا ؟
من بعد ما هم شطبوا
أجملَ سطرٍ في كتاب العمرْ ...

محاولة تشكيلية لرسم بيروت

١

عندما ترجعُ بيروتُ إلينا
بالسلامهْ ..
عندما ترجعُ بيروتُ التي نعرفها
مثلما ترجعُ للدار الحمامهْ ..
سوفَ نرمي في مياهِ البحر
أوراقَ السفر ..
وسنستأجر كرسيينْ في بيتِ القمرْ .
وسنقضي الوقتَ ،
في زرع المواويلِ ..
وفي زرع الشجرْ
آهِ .. يا بيروتُ كم أتعبنا هذا الشفرْ .
فاغمرينا ..
بمكاتيبِ المحبينَ .. اغمرينا
بتقاسيم العصافير .. اغمرينا
بمزاريبِ المطرْ ...

٢

عندما ترجع بيروتُ
التي كانت ملاذاً لهوانا .
والتي قد أورقتْ
فيها من الحب يدانا
مثلما يرجع في الفجر الشراعْ
عندما ترجع بيروتْ ..
فهل تأخذني ؟
يا صديقي ، مرة أخرى ،
إلى سهل البقاعْ .
حيثُ أغلى حلمٍ عندي
(عروسٌ من لبنْ)
آهِ .. كم كان بسيطاً
حبّ ذيَّاك الزمنْ
آهِ .. كم كانَ جميلاً
إن يكون الحبُّ إقليماً صغيراً

من أقاليم الوطنْ ..

٣

هل من الممكن أن تطلعَ بيروتُ الجميلهْ
مرةً أخرى ..
من الأرض الخرابْ ؟
هل من الممكن ، أن ينبتَ قمحٌ
في مياه البحرِ ،
أو يأتي مع الموج كتابْ ؟
هل من الممكن أن نكتبَ شعراً ؟
مرةً أخرى .. على حبةِ لوزٍ أخضرِ
أو على قطن السحابْ ؟
هل لدينا ؟.
فرصة أخرى لكي نعشقَ ..
أم أن العيونَ الخضرَ ضارتْ مستحيلهْ ؟
والعيونَ السودَ صارتْ مستحيلهْ ؟
وإذا عاد إلينا (شارع الحمراء)
لو عادت إلينا (الرملة البيضاء)
لو عادتْ لنا ..
(منقوشة الزعتر) ..
و(الكورنيشُ) ..
لو عاد لنا (مقهى دبيبو)
والمشاويرُ الطويلهْ ..

٤

لو فرضنا ..
لو فرضنا ..
أنْ بيروتَ الجميلهْ
نهضتْ من موتها ثانيةً
مَنْ سيعطينا مفاتيحَ الطفولهْ ؟

اليومياتُ السرية لقصيدة عربية

١

إذا سمعنا شاعراً ..
يقرأ ، في أمسيةٍ شعريةٍ، أشعارهُ

قلنا لهُ : (أحسنتَ يا مطربنا الكبيرْ)
إعقدْ على خصركَ شالاً أحمراً ..
وارقص لنا ،
آخرَ ما كتبتَ .. يا شاعرنا الشهيرْ .
أرقصْ لنا .. أرقص لنا ..
فنحن قومٌ لا يرونَ الفرقَ
بين دقة الخصرِ .. وبينَ دقة التعبيرْ ..

٢

إذا رأينا شاعراً
يفتحُ فوقَ منبر شريانهُ
مبشراً بوردة التغييرْ
قلنا لهُ :
نريدُ أن تسمعنا (طقطوقةً) جديدة
تنقذنا من صحوة الضميرْ
كأنما وظيفةُ الشاعر
أن يخدرَ العقلَ ..
وأنْ يُعطل التفكيرْ ..

٣

إذا رأينا شاعراً
ينزفُ من جناحهِ كطائر الكنارْ
من أول الليل ، إلى ولادة النهارْ
قلنا لهُ : (ما صارْ) ..
قلنا له : (ما صارْ) ..
لا بدّ أن تموت فوق أصابع القيثارْ
لا بدّ أن تموتَ يا مهيارْ
فليسَ في التاريخ من قصيدةٍ عظيمةٍ
لم تحترق بالنارْ ...

٤

إذا رأينا شاعراً
يلفظُ فوقَ منبرٍ أنفاسهُ
في قاعة ..
تكتظ بالسعال ، والتصفيق ، والصفيرْ ..
قلنا له :

أعدْ .. أعدْ ..
يا صاحب الحنجرة الحريرْ .
أعدْ ...
أعدْ ...
فما شبعنا طرباً
ولا اشتركنا ،
في طقوس موتكَ المثيرْ ..
يا عندليبَ الليل ..
يا شاعرنا الكبيرْ ..

٥

... ونرفع الكؤوسَ نخبَ الشاعرِ الكبيرْ
ونشربُ الويسكي حتى الرمق الأخيرْ
وعندما يفرغُ من وصلتهِ ..
نطردهُ ..
ونأخذُ القصيدةَ العصماءَ للسريرْ ...

النصائح الذهبية .. في أدب الكتابة النفطية

لو شاءت الأقدارُ أن تكونَ كاتباً
يجلسُ تحتَ جبةِ الصحافةِ النفطيةْ .
فهذه نصائحي إليكْ :
١- أدخلْ إلى مدرسة تعلم الأميةْ .
٢- أكتبْ بلا أصابعٍ .. وكنْ بلا قضيةْ
٣- إمسحْ حذاء الدولةِ العليةْ
٤- إشطب من القاموسِ كلمةَ الحريةْ .
٥- لا تتحدثْ عن شؤون الفقر ، والثورةِ ،
في الشوارع الخلفيةْ .
٦- لا تنتقد أجهزة القمع ، ولا تضعْ
أنفك في المسائل القوميةْ .
٧- كن غامضاً .. في كل ما تكتبُ ،
والزمْ مبدأ التقيةْ .
٨- خصص عمودكَ اليوميّ للأزياءِ ..
والأزهار .. والفضائح الجنسيةْ .
٩- لا تتذكرْ أنبياء القدس .. أو ترابها

فإنها حكاية منسيةْ .
١٠- ا ترث بيروتَ التي ترملتْ
فالقتل فيها عادة يوميةْ .
١١- لا تتعرض للسلاطين إذا تعهروا ..
أو قامروا .. أو تاجروا .. فهذه مسألة شخصية
١٢- ولا تقل لحاكم : إن قباب قصره
مصنوعة من جثثِ الرعيةْ ....

الثقب

١

لقد مر عشرونَ عاماً علينا
لقد مر عشرون عامْ
ولا نجم يسطعْ ..
لا أرضَ تحبلْ ..
لا قمحَ يطلعُ من تحت هذا الركامْ
ولا غيمة ماطرهْ
فهل نسيَ الشارعُ العربيّ الكلامْ ؟
وصرنا شعوباً بلا ذاكرهْ ..

٢

لماذا الجماهيرُ ..
بين المحيط ، وبين الخليج ،
تجوبُ الأزقة كالقطط الخائفهْ
وأينَ هو الشاعرُ العربي
الذي كان يمضغ لحم الطغاه
ويخترع العاصفهْ ؟
وكيف خرجنا من الحلم الوحودي الكبير
لنخل ثقباً صغيراً ..
يسمونه الطائفهْ ؟؟؟

٣

لقد مر عشرون عاماً علينا
لقد مر عشرون عامْ
ونحنُ وقوفٌ كأعمدة الكهرباءْ
نحدق مثل البهاليلِ صوبَ السماءْ

تمر القطارات من قربنا ..
تمر الحضارات من فوقنا ..
تمر الزلازل من تحتنا ..
فلا نتأمل شيئاً ..
ولا نتعلم شيئاً ..
ولا نتذكر شيئاً ..
ولا نتحمس حين مجيء الربيعْ
ولا نتأثر حين رحيل الشتاءْ
فلا الله يرضى المكوث لدينا
ولا الأنبياءْ ...

٤

لقد مر عشرون عاماً علينا
لقد مر عشرون عامْ
وليسَ هنالكَ من يطرح الأسئلهْ
وليس هناك مسيحٌ .. ولا جلجلهْ
ونحن هنا ..
نتناسلُ مثلَ الزواحفِ في الغرف المقفلهْ
فأينَ هو الشارع العربي
الذي كان يبصق ناراً ؟
ولا يعرفُ الفروق بين القصيدة والقنبلهْ ..
لقد مر عشرون عاماً علينا
بقد مر عشرون عامْ
ونحن توابيت مصنوعة من رخام
نبايع أي عقيد يجيء ..
ونلعق جزمة نظامْ ..
ونلبس جلدَ النمور
ونحن حمامْ .
ونحن نطير بكل اتجاه
كريش النعام ..
كريش النعامْ ..

السيرة الذاتية لسيّاف عربي

١

أيّها الناسُ :
لقد أصبحتُ سُلطاناً عليكمْ
فاكسروا أصنامكم بعدَ ضلالٍ ،
واعبدوني ..
إنّني لا أتجلّى دائماً
فاجلسوا فوقَ رصيفِ الصبرِ ،
حتّى تبصروني .
أتركوا أطفالكم من غيرِ خُبزٍ ..
واتركوا نِسوانَكم من غيرِ بعلٍ
واتبعوني ..
إحمدوا اللهَ على نعمتهِ
فلقد أرسلني كي أكتبَ التاريخَ ،
والتاريخُ لا يُكتَبُ دوني .
إنّني يوسفُ في الحُسنِ ،
ولم يخلقِ الخالقُ شعراً ذهبيّاً مثلَ شعري
وجبيناً نبويّاً كجبيني ..
وعيوني ..
غابةٌ من شجرِ الزيتونِ واللّوزِ ،
فصلّوا دائماً .. كي يحفظَ اللهُ عيوني .
أيّها الناسُ :
أنا مجنونُ ليلى
فابعثوا زوجاتكم يحملنَ منّي
وابعثوا أزواجَكم كي يشكروني ..
شرفٌ أن تأكلوا حنطة جسمي
شرفٌ أن تقطفوا لَوزي .. وتيني
شرفٌ أن تشبهوني ..
فأنا حادثةٌ ما حدثتْ
منذُ آلافِ القرون ..

٢

أيّها الناسُ :
أنا الأوّلُ ، والأعدَلُ ،

والأجملُ ، من بينِ جميعِ الحاكمينْ
وأنا بدرُ الدُجى ، وبياضُ الياسمينْ
وأنا مخترعُ المشنقةِ الأولى ..
وخيرُ المرسلينْ
كلّما فكّرتُ أن أعتزلَ السُّلطة ،
ينهاني ضميري ..
مَن تُرى يحكمُ بعدي هؤلاءِ الطيّبينْ ؟
مَن سيشفي بعديَ ..
الأعرجَ ..
والأبرصَ ..
والأعمى ..
ومَن يحيي عظامَ الميّتينْ ؟
مَن تـُرى يخرِجُ من معطفهِ
ضوءَ القمرْ ؟
مَن يا تُرى يرسلُ للناسِ المطرْ ؟
مَن يا تـُرى ؟
يجلدهم تسعينَ جلدهْ ..
من يا تُرى ؟
يصلبُهم فوقَ الشجرْ ..
مَن تُرى يرغمُهم
أن يعيشوا كالبقرْ ؟
ويموتوا كالبقرْ ؟
كلـّما فكّرتُ أن أتركَهم
فاضتْ دموعي كغمامهْ
وتوكّلتُ على اللهِ ..
وقرّرتُ بأن أركبَ الشعبَ ..
من الآنَ .. إلى يومِ القيامهْ ..

٣

أيّها الناسُ :
أنا أملكُكمْ
مثلما أملكُ خيلي .. وعبيدي ..
وأنا أمشي عليكم
مثلما أمشي على سجّادِ قصري ..

فاسجدوا لي في قيامي
واسجدوا لي في قعودي
أوَلَمْ أعثرْ عليكم ذاتَ يومٍ
بينَ أوراقِ جدودي ؟
حاذروا أن تقرأوا أيَّ كتابٍ
فأنا أقرأُ عنكمْ ..
حاذروا أن تكتبوا أيَّ خطابٍ
فأنا أكتبُ عنكمْ ..
حاذروا أن تسمعوا فيروزَ بالسرِّ
فإنّي بنواياكمْ عليمْ
حاذروا أن تُنشدوا الشعرَ أمامي
فهو شيطانٌ رجيمْ
حاذروا أن تدخلوا القبرَ بلا أذني ،
فهذا عندَنا إثم عظيمْ
والزَموا الصمتَ إذا كلّمتُكمْ
فكلامي هوَ قرآنٌ كريمْ ..

٤

أيّها الناسُ :
أنا مَهديكم ، فانتظروني !
ودمي ينبضُ في قلبِ الدوالي ..
فاشربوني .
أوقفوا كلَّ الأناشيدِ التي ينشدُها الأطفالُ
في حبِّ الوطنْ
فأنا صرتُ الوطنْ ...
إنّني الواحدُ ..
والخالدُ .. ما بينَ جميعِ الكائناتِ
وأنا المخزونُ في ذاكرةَ التفّاحٍ ،
والناي ، وزُرقِ الأغنياتِ
إرفعوا فوقَ الميادينِ تصاويري
وغطّوني بغيمِ الكلماتِ ..
واخطبوا لي أصغرَ الزوجاتِ سنّاً ..
فأنا لستُ أشيخْ ..
جسدي ليسَ يشيخْ ..

وسجوني لا تشيخْ ..
وجهازُ القمعِ في مملكتي ليسَ يشيخْ ..
أيّها الناسُ :
أنا الحجّاجُ ، إن أنزعْ قناعي ، تعرفوني
وأنا جنكيزُخانِ جئتُكمْ ..
بحرابي ..
وكلابي ..
وسجوني ..
لا تضيقوا - أيّها الناسُ - ببطشي
فأنا أقتلُ كي لا تقتلوني ..
وأنا أشنقُ كي لا تشنقوني ..
وأنا أدفنكم في ذلك القبرِ الجماعيِّ
لكيلا تدفنوني ..

٥

أيّها الناسُ :
اشتروا لي صحفاً تكتبُ عنّي ..
إنها معروضةٌ مثلَ البغايا في الشوارعْ
إشتروا لي ..
ورقاً أخضرَ مصقولاً كأعشابِ الربيعْ
ومِداداً .. ومطابعْ ..
كلُّ شيءٍ يُشترى في عصرنا
حتّى الأصابعْ ..
إشتروا فاكهة الفكرِ ..
وخلّوها أمامي .
واطبخوا لي شاعراً
واجعلوهُ ، بينَ أطباقِ طعامي ..
أنا أمّيٌّ ..
وعندي عقدةٌ مما يقولهُ الشعراءْ
فاشتروا لي شعراءً يتغزّلونَ بحُسني ..
واجعلوني نجمَ كلِّ الأغلفهْ
فنجومُ الرقص والمسرحِ ،
ليسوا أبداً أجملَ منّي ..
إشتروا لي كلَّ ما لا يُشترى

في أرضنا أو في السّماءْ
إشتروا لي ..
غابةً من عسلِ النحلِ ..
ورطلاً من نساءْ ..
فأنا بالعملةِ الصعبةِ أشْري ما أريدْ
أشتري ديوانَ بشّارِ بنَ بُردٍ
وشفاهَ المتنبّي ..
وأناشيدَ لَبيدْ ..
فالملايينُ التي في بيتِ مالِ المسلمينْ
هيَ ميراثٌ قديمٌ لأبي
فخُذوا من ذهبي
واكتبوا في أمّهاتِ الكتبِ
أن عصري ..
عصرُ هارون الرشيدْ ...

٦

يا جماهيرَ بلادي :
يا جماهيرَ الشعوبِ العربيّهْ
إنّني روحٌ نقيٌّ .. جاءَ كي يغسلكمْ من غبارِ الجاهليّهْ
سجّلوا صوتي على أشرطةٍ ..
إنَّ صوتي أخضرُ الإيقاعِ كالنافورةِ الأندلسيّهْ
صوِّروني .. باسماً مثلَ (الجوكوندا)
ووديعاً مثلَ وجهِ المجدليّهْ ..
صوّروني ..
بوقاري ، وجلالي ، وعصايَ العسكريّهْ
صوّروني ..
وأنا أقطعُ - كالتفّاحِ - أعناقَ الرعيّهْ ..
صوّروني
وأنا أصطادُ وعلاً .. أو غزالاً
صوّروني ..
وأنا أفترسُ الشِّعرَ بأسناني
وأمتصُّ دماءَ الأبجديّهْ
صوّروني ..
عندما أحملُكم فوقَ أكتافي لدارِ الأبديّهْ !

يا جماهيرَ بلادي ..
يا جماهيرَ الشعوبِ العربيّهْ ..

٧

أيّها الناسُ :
أنا المسؤولُ عن أحلامكمْ ، إذ تحلُمونْ
وأنا المسؤولُ عن كلِّ رغيفٍ تأكلونْ
وعن الشّعرِ الذي
- من خلفِ ظهري - تقرأونْ
فجهازُ الأمنِ في قصري
يوافيني بأخبارِ العصافيرِ ..
وأخبارِ السنابلْ
ويوافيني بما يحدثُ في بطنِ الحواملْ !

٨

أيّها الناسُ :
أنا سجّانُكم ، وأنا مسجونُكم ..
فلتعذروني
إنّني المنفيُّ في داخلِ قصري
لا أرى شمساً .. ولا نجماً ..
ولا زهرةَ دِفلى ..
منذ أن جئتُ إلى السُّلطةِ طِفلا
ورجالُ السّيركِ يلتفّونَ حولي
واحدٌ ينفخُ ناياً ..
واحدٌ يضربُ طبلا ..
واحدٌ يمسحُ جوخاً ..
واحدٌ يسمحُ نعلا ..
منذُ أن جئتُ إلى السّلطةِ طفلا ..
لم يقلْ لي مستشارُ القصرِ : (كلاّ)
لم يقلْ لي وزرائي أبداً لفظةَ (كلاّ)
لم يقلْ لي سفرائي أبداً في الوجهِ (كلاّ)
إنّهم قد علّموني أن أرى نفسي إلهاً ..
وأرى الشعبَ من الشرفةِ رملا ..
فاعذروني .. إن تحوّلتُ لهولاكو جديدٍ
أنا لم أقتلْ لوجهِ القتلِ يوماً ..

الكلماتْ .. بين أسنان رجال المخابر

١

وأخيراً .. شرفوني .
كان قلبي دائماً ينبئني ..
أنهم آتونَ ...
كي يعتقلوا الكلمةَ .. أو يعتقلوني ..
ولذا .. ما فاجأوني
كسروا أبوابَ بيتي في جنيفٍ
لوثوا ثلجَ سويسرا ..
ومراعيها .. وأسرابَ الحمامْ ..
وتحدوا وطنَ الحبِّ ، وإنجيل السلامْ .
وضعوا شعري بأكياسٍ ..
فهلْ شاهدتمُ ؟
دولةً تسرقُ عطرَ الياسمينِ
يا لها من غزوة مضحكةٍ
سرقوا حبري ، وأوراقي ، ولمْ ..
يسرقوا النارَ التي تحت جبيني
إنني أسكنُ في ذاكرة الشعبِ ..
فما همَّ .. إذا همْ سرقوني ؟؟...

٢

وأخيراً .. دخلوا غرفة نومي ..
واستباحوا حُرماتي
بعثروا أغطيتي ..
شمشموا أحذيتي ..
فتحوا أدويتي ..
دلقوا محبرتي ..
رقصوا فوقَ بياضِ الصفحاتِ.
غزوة تافهةٌ جداً .. ككل الغزواتِ
أي عصرٍ عربيٍ ؟
ذلكَ العصرُ الذي أفتى بقتلِ الكلماتِ ؟
أي عصر معدنيٍّ ؟

ذلك العصرُ الذي يفزع من صوت العصفور
وشدو القُبـَّراتِ .
أي عصر لا يسمى ؟
ذلك العصر الذي يحبسنا
خلف أسوار اللغاتِ.
أي عصر ماضويٍّ .. فوضويٍّ .. بدويٍّ
قبليٍّ .. سلطويٍّ .. دمويٍّ ؟.
ذلك العصرُ الذي يطلقُ النارَ علينا
في قعر الدواةِ ؟؟

٣

وأخيراً .. بلغوني ..
أنهم كانوا هُنا ..
فلماذا بلغوني ؟
إنني أعرفُ بالفطرة أصواتَ بساطير العدو
وأنا أعرف بالفطرةِ ،
أوصافَ ، وأحجامَ ، وأسماءَ الخناجرْ ..
جهزوا جيشاً خرافياً
لكي يقتحموا عُزلة شاعرْ ..
تركوا خلفهم الرومَ .. لكيْ
يعلنوا الحربَ على ريشةِ طائرْ ..
قدموا من آخر العالمِ
حتى يسرقوا بعضَ الدفاترْ ..
آهِ .. كمْ هم أغبياءْ.
حينَ ظنوا أنهمْ
يقتلون الشعر إنْ همْ قتلوني ...
لم أكنْ أعرفُ ما حجمي ..
إلى أن هاجموني ذاتَ ليلهْ ..
فتأكدتُ بأني ..
شاعرٌ يرعبُ دولهْ ...

٤

وأخيراً .. شرفوني
لم يكونوا من بلاد الباسكِ .
أو من جيشِ إيرلندا ..

ولا همْ من عصاباتِ شيكاغو ..
إنني أعرفُ من هُمْ غرمائي ..
فلماذا أرسلوا خلفي كلابَ الصيد كي تنهشني ؟
هل كلابُ الصيدِ صارتْ ..
تتسلى عندنا في أكلِ لحمِ الشعراءِ ؟؟
إنهمْ يدرون أن الشعر عندي .. هو فن الكبرياءِ
وهم يدرون أن لا أحداً نفضَ الغبرةَ عم كعبِ حذائي
وهم يدرون أني ..
لم أقدمْ لسوى اللهِ ولائي ...

٥

وأخيراً .. شرفوني .
حاولوا أن يفتحوا ثقباً بتاريخي
وأن يكسروا أنفَ غروري .
نبشوا أصلي . وفصلي . وجذوري .
نثروا قطنَ مخداتي .. وناموا في سريري .
قرأوا كلّ رسالهْ ..
وبيانات المصارفْ .
بحثوا عن بئر نفطٍ .. كنتُ قد خبأتهُ تحتَ الشراشفْ !!
حاولوا أن يجدوني واقفاً في طوابير العمالهْ ..
أعميلٌ أجنبيٌّ ؟ بعدما حفرَ الحُزنُ دروباً في جبيني
أعميلٌ أجنبيٌّ ؟. بعدما قدمتُ روحي ..
للملايينِ .. وقدمتُ عيوني ...

٦

حاولوا أن يمسكوني ..
وأنا أراهنُ في السوق السياسيِّ ، ثيابي .
حاولوا أن يضبطوني ..
وأنا أقبضُ أتعابي على بيتٍ من الشعر كتبتهْ ..
أو يسمون إماماً واحداً كنتُ قصدتهْ ..
حاولوا أن يجدوا لي صورةً، وأنا أرقصُ في ديوان كسرى.
أو أصبّ الخمرَ في عرس ثريٍ.. أو أميرٍ...
لم أكنْ يوماً من الأيامِ طبالاً ..
ولا زوّرتُ شعري .. وشعوري ..
كانَ شعري دائماً أكبرَ من كل كبيرِ ..

ليسَ عندي ذهبٌ .. أو فضةٌ ..
فرصيدي هو قلبي .. وضميري ...

ثورة الدجاج

نحن دجاج القيصرِ ..
نأكلُ قمح الخوف ،
ونشربُ من أمطار الملحْ
كل نهارِ ..
يأتينا البوليسُ قبيل صلاة الصبحْ
يستجوبنا ..
ويهددنا ..
ويعلقنا ..
بين السيفِ .. وبين الرمحْ .

*

نحن دجاجُ القيصرِ ..
يعلفُنا في فصل الصيفِ ،
ويذبحنا في عيد الفصحْ ...

المحضر الكامل لحادثة اغتصاب سياسية

١

سامحونا ..
إن شتمناكمْ قليلاً .. واسترحنا
سامحونا إن صرخنا ..
كتبُ التاريخ لا تعني لنا شيئاً
وأخبارُ عليٍّ .. ويزيدٍ .. أتعبتنا ...
إننا نبحثُ ..
عمنْ لا يزالون يقولون كلاماً عربياً
فوجدنا دولاً من خشبٍ ..
ووجدنا لغةً من خشبٍ ..
وكلاماً فارغاً من أي معنى
سامحونا ..
إنْ قطعنا صلةَ الرحم التي تربطنا ..
سامحونا إن فعلنا ..

٢

سامحونا
- أيها السادةُ – إن نحنُ جننا
ألفُ دجالٍ على أكتافنا
إستباحوا دمنا منذ ولدنا
ألفُ بوليسٍ على أوراقنا ..
يطلقونَ النارَ .. لكنْ ما سقطنا ..
حاولوا أن يقطعوا أرجلنا
كي يعيقوا الزحفَ .. لكنا وقفنا ..
قطعوا الأيدي لكي لا نمسكَ الأقلامَ ،
لكنا كتبنا ..
حاولوا أن يقنعونا ..
أن قولَ الشعر كفرٌ .. فكفرنا ..

٣

سامحونا ..
إن قتلنا مرة آباءنا ..
وشككنا في روايات أبي زيدِ الهلاليِّ
وفي شخصية الزير .. وفي عنترةٍ ..
سامحونا إن شككنا ..
في نصوص الشعر والنثر التي نحفظها
وحديثِ السيفِ .. والرمحِ .. وفي (كانَ) و (كنا) ...
سامحونا إن هربنا ،،
من بني صخر .. وأوسٍ ..
ومنافٍ .. وكليبٍ ..
سامحونا إن هربنا ..
ما شربنا مرةً قهوتهمْ
إلا اختنقنا
ما طلبنا مرةً نجدتهمْ
إلا خذلنا ..
إن تاريخَ ابنِ خلدونَ اختلاقٌ
فاعذرونا ..
إن نسينا ما قرأنا ....

٤

سامحونا ..
إن دخلنا قصركمْ من غير إذنٍ
ودخلنا حجرةَ العرش .. وقاعاتِ المرايا ..
وشممنا عبقَ الأجساد في كل الزوايا
ورأينا كيف في ثلاجة السلطانِ،
يبقى طازجاً لحم السبايا ..
سامحونا ..
إن تعدينا على أملاككمْ
وعتقنا العدد الأكبرَ من زوجاتكمْ
سامحونا إن خجلنا ..
وكرهنا نفسنا .. وكرهنا جلدنا ..
ونحرناكمْ جميعاً .. وانتحرنا ..

٥

سامحونا ...
إن قطعنا مرةً سَكرتَكُمْ
وسرقناكم من الويسكي يوماً
وفتحنا جرحنا ..
سامحونا .. إن سرقناكم من (الفيديو) قليلاً
كي نريكمْ موتنا ..
إننا نسألُ عن شخصٍ يسمى المتنبي
كان في يوم من الأيام عصفورَ العربْ
فعرفنا أنه مات على أيدي المباحثْ
ووجدنا طلقةً في رأسهِ ..
ووجدنا طلقةً في حلقهِ ..
ووجدنا طلقةً في قلبهِ ..
ووجدنا طلقةً ثانية في قلبنا ..

٦

سامحونا
إن تعدينا على عذرية الدولة يوماً
واغتصبناها بشكل همجيٍ ..
واسترحنا ..
عضضناها كذئبٍ من يديها

ولعَنا والديها ..
وأمرنا الشعبَ أن يأكلَ لحماً طازجاً من ناهديها.
سامحونا
إن تجاوزنا اللياقاتِ قليلاً ..
وتصرفنا كأطفالٍ جياعٍ ..
وشربنا من دم الدولة أنهاراً ...
ونمنا ....

٧

سامحونا ..
إن تبولنا على كل التماثيل التي تملأ ساحاتِ المدينهْ ...
وعلى كل التصاوير التي ألصقها البوليسُ – بالغصب –
على كل حوانيتِ المدينهْ ..
وعلى كل الشعارات التي يقذفها بالطوبِ .. أطفالُ المدينهْ .
سامحونا ..
إن تجمعنا كأغنام على ظهر السفينهْ ..
وتشردنا على كل المحيطات سنيناً .. وسنينا ..
لم نجد ما بين تجار العربْ ..
تاجراً يقبلُ أن يعلفنا .. أو يشترينا ..
لم نجدْ بين جميلات العربْ ..
مرأةً تقبلُ أن تعشقنا .. أو تفتدينا
لم نجدْ ما بين ثوار العربْ
ثائراً .. لم يغمدِ السكينَ فينا ...

٨

سامحونا ..
سامحونا ..
إن رفضنا كل شيءٍ ..
وكسرنا كل شيءٍ ..
واقتلعنا كل شيءٍ
ورمينا لكمُ أسماءنا
فالبوادي رفضتنا . والموانى رفضتنا
والمطاراتُ التي تستقبل الطيرَ صباحاً ومساءَ .. رفضتنا
إن شمسَ القمع في كل مكانٍ .. أحرقتنا ..
سامحونا ..

إن بصقنا فوق عصرٍ ما له تسميةٌ
سامحونا إن كفرنا ...

****

****** النهايـة ******

****